Foreign wars during the reign of sultan Muhammad IV (1648-1687AD)

Dr. Aladdin Jabbour*
Somar Muhammad Fioud*

(Received 11 / 8 / 2021. Accepted 2 / 6 / 2022)

□ ABSTRACT □

The Ottoman Empire is one of the Turkmen states that emerged in Asia Minor in the early 13th century and the longest rule continued between the period (1299-1923) and attributes this state to its true founder Osman bin Artaghl, during which the military and political status of the Ottoman Turks was determined before that by their influence on the Islamic religion, which was widespread in Turkish environments in Central and Western Asia, which reached its peak glory in the 16th and 17th centuries. Its territory to include large parts of Asia, Africa and EuropeWith the emergence of some manifestations of weakness and reform attempts during this period and witnessed the second half of the seventeenth century tension in Ottoman-European relations, especially with Austria as a result of its violation of the Treaty of Sitavork between the two countries, which prompted the Ottoman Empire to wage war against it and ended with victory for the Ottomans and control of the most important castles of Europe, the Castle of Nohzel, the Treaty of Vashvar put an end to that war while the region of Ukraine formed the scene of the second conflict between it and Poland. Which tried to attack and control this geographical area of the Ottoman Empire but failed to do so and ended the conflict with the signing of a peace treaty known as Bojash and was later renewed under the name "Zoruna", while Russia was the Cossack revolution and work to share areas of influence in Ukraine, the reason why the Ottomans entered into conflict with Russia for the first time under Sultan Muhammad IV to end those conflicts by signing the Treaty of Ozzy.

Keywords: Sultan Mohammad IV- Grand vizier-ottoman empire- kuprlu Vienna

*Assistant Professor - Department of History - Faculty of Arts and Humanities - University of Tishreen- Latakia – Syria alaa jabbour46@gmail.com
*Postgraduate student - Master - Department of History - Faculty of Arts and Humanities - University of Tishreen - Latakia – Syria swmrfywd54@gmail.com

الحروب الخارجية في عهد السلطان محمد الرابع (1648-1687م)

د. علاء الدين جبّور *
سومر محمد فيوض**

(تاريخ الإيداع 11 / 8 / 2021. قبل للنشر في 2 / 6 / 2022)

ملخّص

الدولة العثمانية هي واحدة من الدول التركمانية التي ظهرت في آسيا الصغرى في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي وأطولها حكماً فقد استمرت قائمة بين الفترة(1299-1923م) وتنسب هذه الدولة إلى مؤسسها الحقيقي عثمان بن أرطغرل فقد تحدد في عهده الوضع العسكري والسياسي للأتراك العثمانيين أما وضعهم الديني فقد تحدد قبل ذلك بفعل تأثرهم بالدين الإسلامي الذي كان منتشراً في البيئات التركية في وسط آسيا وغربها ،بلغت ذروة مجدها في القرنين السادس عشر والسابع عشر وامتدت أراضيها لتشمل أجزاء واسعة من آسيا وإفريقيا و أوربا مع بروز بعض مظاهر من الضعف ومحاولات إصلاحية خلال هذه الفترة و شهد النصف الثاني من القرن السابع عشر توتراً في العلاقات العثمانية الأوروبية ولاسيما مع النمسا نتيجة نقضها لمعاهدة سيتافورك بين الدولتين مما دفع الدولة العثمانية لشن الحرب ضدها وانتهت بتحقيق النصر للعثمانيين والسيطرة على أهم قلاع أوربا وهي قلعة نوهزل وقد وضعت معاهدة فاشفار حداً لتلك الحرب بينما شكلت منطقة أوكرانيا مسرح الصراع الثاني بينها وبين بولندا التي حاولت الاعتداء والسيطرة على هذه الرقعة الجغرافية التابعة للدولة العثمانية لكنها فشلت في ذلك وانتهت حالة الصراع بتوقيع معاهدة صلح عرفت باسم بوجاش وجددت لاحقاً تحت اسم (زوروانا) أما روسيا فكانت ثورة القوزاق والعمل على اقتسام مناطق النفوذ في أوكرانيا السبب الذي دفع العثمانيين للدخول في صراع مع روسيا للمرة الأولى في عهد السلطان محمد الرابع لتنتهي تلك الصراعات بتوقيع معاهدة أوزي

الكلمات المفتاحيّة : السلطان محمد الرابع – الصدر الأعظم – الدولة العثمانية – آل كوبرلي – فيينا .

* مدرس – قسم التاريخ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية alaa jabbour46@gmail.com
** طالب ماجستير – قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين – اللاذقية – سورية swmrfywd54@gmail.com

مقدمة

تولى السلطان محمد الرابع(1299م–1923م) مقاليد الحكم وهو يبلغ من العمر سبع سنوات دامت مدة سلطته إحدى وأربعين سنة تولت جدته وصايته وإدارة شؤون المملكة التي كانت تدعى ماه بيكر وعرفت أيضاً باسم كوسم سيرت أمور الدولة وفق العادة المألوفة وتميزت بداية حكمها بمجازاة المتسببين في فراغ خزينة وبعد مرور سنة من تولي السلطان محمد الرابع العرش كانت الأمور الداخلية في حالة يرثى لها حيث حدثت فتنة بين الأغوات على ترفع الرتب واشتدت الفتن والطغيان في الأناضول وعصيان الإنكشارية وعم الضعف في جسم الدولة وحدث نزاع بين والدة السلطان خديجة تارخان وجدته ماه بيكر حول النفوذ والسلطة مع كوسم على نيابة السلطنة، استطاعت الوالدة تارخان في النهاية القضاء على كوسم وتستلم الوصاية على ابنها واستمرت الإضرابات بدورها في تلك الفترة وأصبح الإنكشارية يولون ويعزلون من يريدون ومن لايملكون أي خبرة في نهاية المطاف وبعد بلوغ السلطان محمد الرابع سن الرشد استطاع ضبط أمور البلاد وحكمها بيد من حديد بمساعدة ومشورة من محمد باشا كوبرلي وأولاده الذين تولوا منصب الصدارة في تلك الفترة وانتهى الدور المسمى في التاريخ بدور النساء وانطلقت الدولة العثمانية في عهد هذا السلطان لتحقيق انتصارات جديدة أما خارجياً فقد تولى السلطان محمد الرابع العرش والعلاقات متوترة مع دول أوربا خلال هذه الفترة مما سيكون له أثر في دفع الدولة العثمانية لخوض سلسلة من الحروب الخارجية

يطرح البحث عدة تساؤلات ويحاول الإجابة عن أهمها :

1–ماهي الأسباب التي دفعت بالدولة العثمانية لخوض هذه الحروب مع دول أوربا؟

2–ماهي أبرز عوامل قوة الأطراف المتنازعة وأهم مكامن الضعف لديها ؟

3–كيف تحولت الدولة العثمانية من سياسة التوسع والهجوم إلى سياسة دفاعية محضة للحفاظ على أكبر قدر من المكتسبات الإقليمية في أوربا ؟

4–كيف انعكست هزيمة فيينا على أوضاع الدولة العثمانية ؟

أهمية البحث وسبب اختياره:

تكمن أهمية البحث من خلال تسليط الضوء على العمليات الحربية التي نفذتها الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الرابع ،وتحت إشراف وقيادة آل كوبرلي ذات الشهرة الواسعة المحنكين بأمور السياسة، وللبحث خصوصية تأتي من خلال تبيان المكاسب العسكرية الكبيرة التي تحققت في مرحلة حرجة من عمر الدولة عانت خلالها من شتى عوامل الضعف ولم يكن من الممكن ،أو بالأحرى من المستحيل من وجهة النظر الأوربية تحقيق مثل تلك النجاحات العثمانية لكن على العكس تماما استطاع السلطان محمد الرابع بمساعدة آل كوبرلي من استعادة الروح القتالية للدولة والوصول إلى مناطق كانت مستعصية على العثمانيين لسنوات عدة .

منهجية البحث:

تم الاعتماد في هذا البحث على منهج البحث التاريخي القائم على جمع المعلومات من المصادر والمراجع المختلفة ، ودراستها، وتحليلها، ونقدها، ومن ثم إعادة جمعها وتركيبها وفق تسلسل منطقي يخدم البحث، ويقدم للقارئ صورة واضحة عن الحروب العثمانية في عهد السلطان محمد الرابع .

المناقشة :

أولاً: الحرب العثمانية النمساوية:

في عام(1661م)عرضت النمسا الصلح على الدولة العثمانية ،لكن السلطان العثماني والصدر الأعظم أحمد كوبرلي[1] لم يجب هذه الدولة، وخصوصاً بعدما أقدمت النمسا على مخالفة شروط معاهدة سيتافورك [2]،حيث اعتدت على حدود الدولة وبنت فيها قلعة حربية[3] .

سرعان ما كلف السلطان محمد الرابع أحمد كوبرلي ودعاه للوفاء بالواجبات العسكرية وقيادة الجيوش العثمانية على النمسا عام(1663م)،وكانت هذه الحرب مثل معظم الحروب الأخرى بين الامبراطوريتين، ونشأت على مدى قرن ونصف القرن في ترانسلفانيا، ،بعد عدة معارك قليلة الأهمية خلال عامي(1661–1662م)بين أنصار كل من النمسا والباب العالي[4] في هذه الأقاليم حشد جيش عثماني بواسطة الوزير احمد كوبرلي على قدر من العظمة يماثل أيام الانتصار في عهد سليمان القانوني، وقد عزم كوبرلي ليس على إتمام سطوة الاتراك على المجر ترانسلفانيا ، وإنما على سحق قوة النمسا تماماً ونهائياً [5].

سار السلطان محمد الرابع(Muhammad IV) مع قواته من القسطنطينية إلى أدرنة ،لكنه ظل هناك في الخلف لاستئناف الصيد المفضل لديه، بينما قاد وزيره الأعظم الجيش باتجاه الأعداء، وقد وضع السلطان الراية المقدسة بيد كوبرلي، وقد بلغ عدد الجيش العثماني حوالي المائة وعشرون ألف جندي، شهدت قوتهم المفرطة اجتياز البلاد المفتوحة في المجر ترانسلفانيا والوصول إلى قلعة نوهزل[6]وضرب الحصار عليها [7].

كانت قلعة نوهزل(nohzal castle) بالغة التحصين ،فائقة الاستحكامات ،حتى أصبحت من أقوى القلاع في أوربا ، وعندما وصل أحمد كوبرلي إليها وضرب عليها حصاراً قوياً استمر 37يوماً اضطرت القلعة خلالها إلى الاستسلام، فوافق الصدر الأعظم على ذلك مقابل خروج الحامية من القلعة دون سلاح وذخيرة فدخلها العثمانيون سنة(1664م)[8].

---

[1] أحمد كوبرلي(1635-1676م): هو ابن الصدر الأعظم محمد باشا كوبرلي مؤسس هذه الاسرة وقد ولد احمد في قرية كوبرلو في البانيا وورث أباه في منصب الصدارة في عهد السلطان محمد الرابع واستمر في هذا المنصب حتى وفاته عام (1676م) ينظر: زكي ، احمد، عبرة التاريخ ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر، 2013،ص26

[2] معاهدة سيتافورك:هي معاهدة عقدت بين الدولة العثمانية والنمسا عام(1606) وكانت جزءا من معاهدات السلام التي أنهت الانتفاضة للهابسبورج بقيادة بوكشاي بمقتضاها دفعت النمسا للدولة العثمانية غرامة حربية تقدر ب(67000) سكة ذهبية وألغيت الجزية التي كان يدفعها إمبراطور النمسا إلى الدولة العثمانية كل سنة وان تعامل الدولة العثمانية حاكم النمسا باعتباره إمبراطورا وتثبيت الحدود بين الطرفين بحيث إن لكل طرف الأراضي التي يسيطر عليها ينظر: كولن، صالح ، سلاطين الدولة العثمانية ،دار النيل للنشر والتوزيع، مصر، 2015م، ص149

[3] أرسلان ، شكيب ، تاريخ الدولة العثمانية ،دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، 2011م، ص228

[4] الباب العالي :ترجمة لفظية تركية وهي عبارة عن ثلاثة أبواب في قصر السلطان الباب الأول وهو المدخل ثم توجد ثكنة للجيوش الانكشارية الباب الثاني حيث توجد السرايا ومقر السلاطين ومكانا للوزراء والباب العالي يسمى بالتركية ما بين الهمايوني وهو باب الحريم ويطلق الباب العالي على مقر السلطنة ينظر: الروقي ،عائض،حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ،جامعة ام القرى، السعودية، 1986م، ص45

[5] كريسي ، ادوارد، تاريخ الاتراك العثمانيين ، تر: احمد سال سالم ،دار جامعة حمد بن خليفة للنشر ، الدوحة ، 2019م، ص260

[6] قلعة نوهزل: تقع في تشيكوسلوفاكيا شرق فينا ينظر النابلسي، شاكر ، عصر التكايا والرعايا (وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان،1999م ، ص292

[7] طقوش ، محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ،دار النفائس ، بيروت، 2013م، ص277–278

[8] كاخيا ، طارق،جولة في تاريخ الترك والتركمان عبر العصور والأزمان، ج1، دار اضنة ، تركيا ، 2015م ، ص344–345

لم تستأنف القوات العثمانية عملياتها النشطة إلا في العام التالي ،إلا أن قواته الخفيفة نشرت دماراً واسعاً وفي عام(1664 م)عبر العثمانيون نهر المورة وحاصروا حصن(سيرنفار)(sernafar)[9] واستولوا عليه ثم قاموا بإخلائه ، وإشعال النار فيه علامة على ازدراء للإمبراطور النمساوي الحاكم الذي شيده [10]،لقد كان سقوط نوهزل كالصاعقة بالنسبة لأباطرة أوربا الذين أخافتهم هذه الحادثة ،ولاسيما الإمبراطور النمساوي ليوبولد الأول(Leopold I)[11].

فقد انتشرت الجيوش العثمانية في بلاده ولاسيما إقليمي مورافيا وسيليزيا[12]غازين حتى خيل له أن السلطان سليمان القانوني ينهض من رمسه للسيطرة على العاصمة النمساوية ، فسعى البابا إسكندر السابع(Alexander VII)[13] لدى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر لحثه على إرسال النجدة والمساعدة، فقبل الملك الفرنسي وأمد الإمبراطور بإرسال ستة آلاف جندي فرنساوي وعشرين ألف من محالفيه الألمانيين [14].

أرسل الجيش النمساوي بقيادة القائد موتيكوكلي(montecocle)[15] لوقف الزحف العثماني ،وفي بداية الحملة لم يستطع النمساويون منع الصدر الأعظم من عبور نهر مورا والحد من سقوط المدن المسيحية التي تقع بينه وبين نهر الراب ، ولكن في حين كان الأتراك منخرطين في هذه العمليات التقى مونتيكوكلي مع القوات الإضافية لولايات الإمبراطورية والتعزيزات الفرنسية [16].

استحوذ مونتيكوكلي على بعض المواقع بالقرب من كير مند على نهر الراب الواقعة على الطريق إلى فيينا ،ونتيجة لسرعة واتساع النهر في ذلك المكان أحبطت الكثير من محاولات الجيش العثماني الذي سار فيما بعد على الضفة اليمنى بينما تابعه مونيتكوكلي من الضفة اليسرى محولاً العدو عن العاصمة النمساوية وعبرت الجيوش في نهاية

---

[9] سيرنفار:يقع إلى الشرق من نهر الراب والى الجنوب من فيينا وقد أطلق عليه العثمانيون اسم (يني قلعة) ينظر المحامي، فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ، ص296

[10] كريسي ، ادوارد، تاريخ الأتراك العثمانيين، مرجع سابق، ص263

[11] ليوبولد الأول: (1640–1705م) هو إمبرطور النمسا تولى بعد أبيه فرديناند الثالث سنة 1658وحارب الترك وقاومهم مقاومة شديدة في سان جوتارد وفي عهده ضمت الالزاس إلى فرنسا وفي 1699 أمضى مع الباب العالي معاهدة كارلوفتز وفي أواخر عهده نشبت الحرب بين النمسا وفرنسا التي كان سببها ملك إسبانيا فقد أراد لويس الرابع عشر إقامة حفيده فيليب الخامس ملكا عليها وتوفي سنة 1705م ينظر المحامي ، فريد بك، تاريخ الدولة العليا العثمانية، مصدر سابق، ص259

[12] مورافيا: هي منطقة في تشيكوسلوفاكيا تقع إلى الشرق من بوهيميا وسميت كذلك تبع لمجموعة الأنهار المعروفة بمورافيا

سيليزيا:هي منطقة في اوربا الوسطى استولت بولندا على جزء منها عام 1921م ثم استولى عليها الألمان وفي عام 1945م أعيدت لبولنا ينظر : المحامي ، فريد بك، تاريخ الدولة العليا العثمانية ،مصدر سابق ، ص295

[13] إسكندر السابع(1599–1667م): ولد باسم فابيو تشيكي عام 1599م بمدينة سيينا في إيطاليا واختار إن يدعى البابا الكسندر السابع تكريما للبابا الكسندر الثالث الذي ولد أيضا في مدينة سيينا وهو احد أفراد عائلة شيكي المعروفة بثرائها حيث عمل أوغستينو شيكي مصرفيا للبابا يوليوس وكان الطرفان على علاقة ودية وكان الكسندر راعيا للفن أيضا ودفع بشكل خاص ثمن عدد من الأعمال المهمة للفنان بيريني وتوفي البابا عام 1667م ينظر:

BIPERNO,ROBERTO,ROME IN THE FOOTSTEPS OF AN XVIIITH CENTURY TRAVELLER,ROMA,2020,P1

[14] نسيم ، بلهول، الموسوعة الكبرى للجماعات الإسلامية المسلحة، ، أمواج للطباعة والنشر ، الأردن ،2014م، ص425

[15] مونتيكوكلي: القائد العام للإمبراطورية الرومانية المقدسة واحد مؤسسي العسكرية الحديثة في أوربا ألف كتاب (فن الحرب) توفي عام (1681م) ينظر: أوزتونا ، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ،ج2، منشورات فيصل للتمويل ، تركيا ، 1990م ، ص385

[16] كريسي ، ادوارد ، تاريخ الاتراك العثمانيين ، مرجع سابق ، ص264

المطاف إلى مابعد نقطة تدفق نهر(لاروفتز) إلى نهر الراب على مقربة من قرية (سان جوتارد)(San gotard)[17] وتوقف الجيشان وتجهزا للمعركة[18].

واصل مونتيكوكلي استعداداته للمعركة، فأصدر أوامر دقيقة لقواته وتنظيم صفوفهم والمواقع الخاصة بكل فيلق وعمق الخطوط وتنظيم الأمتعة والمؤون، وتمركزت بعض القوات عند منحنى النهر وتمكنت من دفع أي قوات تتنازع على الهبوط على الضفة الأخرى، في الساعة 9 صباحا عبر العثمانيون نهر الراب وهاجموا قرية(موجر زدروف)(mogr zdrof) ،وكسروا مركز القوات الأوروبية ،وبدا أن العثمانيين على يقين بتحقيق النصر حتى جلب مونتيكوكلي العون من الجناح الأيسر ووضع القائد تشارز لورين(Sharlz loren) في هذه المعركة مقدمة لمسيرته الطويلة الرائعة، فقد هاجم بفرقته من الخيالة النمساوية قائد حرس الوزير وقتله بيده[19].

دفعت القوات المتقدمة من الجيش العثماني التي هوجمت من الخيالة النمساوية إلى نهر الراب [20] ،وبعد ذلك هاجمت القوات الأوروبية قرية موجر ردروف ، وقاموا بإضرام النار فيها إلا أن الانكشارية في القرية رفضوا التراجع أو الاستسلام وبقوا في أماكنهم حتى اهلكوا بالنار [21].

أرسل كوبرلي بعض المساعدات من الضفة اليمنى في الوقت الذي طلب فيه مونتيكوكلي المساعدات الفرنسية وإن الوقت قد حان لتحركهم تبع ذلك تجهيز كوبرلي جيوشه للهجوم على جناحي القوات الأوروبية في الوقت الذي يتم فيه مهاجمة القلب لقواتهم بشكل أكبر ،فانطلقت أربع حشود من الفرسان العثمانيين غير النظاميين عبر الراب عند الجناح الأيمن لمونتيكوكلي [22].

حدث نزاع شديد على طول الصفوف ،حيث قامت بعض أجزاء الجيش الأوروبي بالانسحاب ونصح العديد من قادته بالتراجع لكن مونتيكوكلي أخبرهم أن فرصتهم للنجاة والانتصار هي المبادرة والهجوم بحشد من أفضل القوات ، قام الجيش الأوروبي بهجوم معاكس كاسراً قلب القوات العثمانية، وسقط الإنكشاريون والسباهيون تحت وطأة الهجوم المتهور للأوروبيين، فهرع العثمانيون بعد هذه الأحداث ،وسقط المركز الذي كان الصدر الأعظم متواجداً فيه، وفروا تاركين ميدان المعركة وقد خسر العثمانيون في هذه المعركة حوالي 10 آلاف جندي [23].

تجمل انتصار مونتيكوكلي بالاستيلاء على 15 قطعة مدفعية وأربعين راية ، وفي اليوم التالي أمر المنتصر بإقامة قداس رسمي للشكر ، وأقيمت كنيسة هناك ، وقد كانت النتيجة المباشرة لمعركة سان جوتارد عقد معاهدة (فاشفار) **والتي تضمنت عدة نقاط:**

1-إخلاء الجيوش العثمانية إقليم ترانسلفانيا وتعيين ابافي حاكما عليه تحت السيادة العثمانية

---

[17] سان جوتارد: سميت بهذا الاسم نسبة لكنيسة حصلت المعركة بالقرب منها وهي المدينة النمساوية التي تحمل الإسم نفسه وتقع على الضفة الغربية لنهر الراب ينظر: المحامي، فريد بك، تاريخ الدولة العليا، مصدر سابق، ص297

[18] كريسي ، إدوارد ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، مرجع سابق ، ص264

[19] مرجع نفسه ، ص264

[20] نهر الراب: نهر ينبع من استريا الشرقية بالنمسا ويجري نحو الجنوب الشرقي إلى المجر ثم في اتجاه الشمال الشرقي ليلتقي بنهر الدانوب: ينظر : غربال ، محمد ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج1، ،دار الشعب للطباعة والنشر ، مصر ، 1965م،849

[21] أوزتونا ، يلماز، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري،م2، الدار العربية للموسوعات ،لبنان ، 2010م، ص507

[22] ، أوزتونا ، يلماز، مرجع نفسه، ص507

[23] أوزتونا ، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق، ص508

2–تدفع النمسا غرامة حربية[24]

2––تبقى كافة القلاع التي ضمها العثمانيون مثل (اويفار(Oyvar)–نوفيكراد(nofigrad) تحت سيادة الدولة العثمانية

3–بقاء جميع مواد معاهدة سيتفاتورك نافذة[25]

من خلال التمعن بالأحداث السابقة يمكن القول بأنه على الرغم من الهزيمة العسكرية التي تعرض لها الجيش العثماني في معركة سان جوتارد إلا أن انتصار النمسا لم يكن حاسما، فقد تعرض الهابسبورج لخسائر فادحة، لذلك لم يخاطروا بخوض حرب أوسع مع العثمانيين ، فسعوا لطلب الصلح ،ومن ناحية أخرى كان النمساويون بحاجة إلى هذا الصلح حتى يتفرغوا لمناوأة السياسة الفرنسية، وفي الوقت نفسه حقق العثمانيون بعض أهدافهم من المعاهدة ،وأكملوا العمل للسيطرة على جزيرة كريت [26].

ثانيا–الحرب العثمانية البولندية :

شجعت الانتصارات التي حققها العثمانيون في وسط أوربا على عودة الروح القتالية إلى ماكانت عليه في السابق الأمر الذي جعلهم يفكرون في حرب جديدة ،وكانت رغبة العثمانيين في إكمال حماية البحر الأسود دافعا لاختيار(أوكرانيا) كميدان للقتال ،بطبيعة الحال فان دخول العثمانيين إلى هذه المنطقة سيجرهم إلى الاشتباك مع بولونيا وقيصرية روسيا فبعد حملة (خوتين)[27] ساد الهدوء في منطقة شمال البحر الأسود، وظل العثمانيون يراقبون المنطقة إلى أن سنحت لهم الفرصة للدخول في حرب ضد بولونيا وانتزاع السيطرة على أوكرانيا[28].

كان القسم الجنوبي من أوكرانيا والذي يقع على سواحل البحر الأسود يسكنه (قوزاق الدنيبر)[29]و (الاكرانيون) ويسود فيه المذهب (الأرثوذوكسي)تحت حماية خان القرم التابع للعثمانيين أما القسم الشمالي فيسكنه (قوزاق الزلزبورج)[30] وهو تحت سيطرة(بولونيا الكاثوليكية)

كان هذا القسم محلا للنزاع بين (البولونيين) وبين(الروس) الذين بدا تدخلهم في المنطقة يزداد شيئا فشيئا، وتم تقسيم هذا الجزء بين الروس والبولونيين) على أن يكون نهر(اوزي)(Ozy) [31]هو الحد الفاصل بين القسمين.[32]

---

[24]طقوش، سهيل ، التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس ، بيروت ، 2011م ، ص377

[25] برجاوي ، سعيد، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993م،ص164

[26] الطالب

[27] خوتين: تقع في الساحل الجنوبي لنهر الدنيستر في رومانيا وهي المدخل إلى بودليا ينظر: أوزتونا،يلماز، تاريخ الدولة العثمانية،ج2،مرجع سابق، ص457

[28] مانتران ، روبير، تاريخ الدولة العثمانية ، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1993م ، ص371

[29] نهر الدنيبر: طوله 2300 كم وهو نهر في بيلاروسيا وأوكرانيا ينبع من تلال (فلداي) ويجري جنوبا حتى يصب في البحر الأسود ينظر، نصار، محمد، الموسوعة العربية الميسرة،ج1،المكتبة العصرية ، بيروت،2013م ،ص1526

[30] الزلزبورج:مدينة في شمال أوكرانيا على نهر الدنيبر وهي المركز الرئيسي لقوزاق الزلزبورج وعندما استقروا فيها كان جنوب أوكرانيا تابعا لبولندا ولكنهم منحوا حكما ذاتيا مقابل حمايتهم الحدود وأدى الاضطهاد البولندي للعقيدة الأرثوذكسية إلى ثورة القوزاق عام 1648م وتحول ولائهم إلى روسيا فأخذت روسيا من بولندا الضفة اليسرى لنهر الدنيبر ومدينة كييف وتقلصت امتيازات القوزاق بعد ثورة(مازيبا) ثم ألغيت عام 1775 ينظر ، غربال ، محمد ، الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ،ص915

[31] نهر(اوزي): هو نهر الدنيبر الذي يقع في ثغر أوزي في الشمال الغربي من البحر الأسود هذا النهر في الجهة الشرقية من أوديسا ينظر: اوزتونا ، يلماز،تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص660

[32] مانتران،روبير، تاريخ الدولة العثمانية ،مرجع سابق،ص371

دفع هذا الأمر قوزاق الزلزبورج اللجوء إلى العثمانيين طالبين حمايتهم، وطلب أميرهم(بترو دورشنكو)(petro doroshenko) [33]الحماية من العثمانيين ولعل اللهجة التي استخدمها الصدر الأعظم في تهديده لملك بولونيا خير شاهد على ما بلغته الدولة من الثقة في قوتها .

جاء في رسالته إلى الملك البولوني:***إن شريعتنا تاذن لنا بأن نعتبرك حربيا، وإنا لقادرون على أن نذيقك مغبة التحرش بالأسد الرابض غير إنا نريد أن نرمق ضعفك، ونبدأ بعامل الشفقة بإنذارك ونصحك بأن تسحب سريعا أجنادك من بلاد القوزاق، وأن تعتذر عما بدر منك، وإذا أبيت تقضي عليك شريعتنا بالموت وعلى مملكتك بالخراب وعلى شعبك بالرق وذلك فضلا عما يلقى على عاتقك تجاه العالم من مسؤولية هذه المصائب"[34].***

تبعا لذلك تجدد القتال بين بولونيا والدولة العثمانية، وبالتعاون بين جيشي القوزاق [35]والعثمانيين في عام(1670 م) تقدم العثمانيون نحو بولونيا وانتزعوا(قمانيجة) (Kamaniga)[36]،وكذلك سيطروا على أراضي (بودوليا)(Bodoulia) [37]،وبذلك وسعوا الشريط الأمني في الشمال إلى مساحات أبعد حتى وصلوا إلى (لفوف)(Lfof)[38] و(وارسو)(Warso)[39]، بدأ البولونيون بطلب الصلح وبناءاً على طلبهم وقع الطرفان معاهدة بوجاش[40]عام(1672م) والتي تضمنت عدة بنود:

1-إقامة سلام بين الطرفين ووقف الحرب .

2-أن تترك إقليم بودليا [41] وأوكرانيا للدولة العثمانية .

3-تدفع بولندا جزية سنوية مقدارها (220) ألف قطعة ذهبية للدولة العثمانية[42].

---

[33] بيترو دورشنكو(1627-1698م):ولد في شهيرين لعائلة القوزاق النبيلة مع خلفية قيادية قوية في عام (1648م) انضم إلى قوات بوهدان خميلنتسكي في الانتفاضة ضد الهيمنة البولندية تم تعيينه لاحقا في فوج بريلوكي ساعد قمع الانتفاضة الموالية لروسيا من قبل بارباش ومارتن بوشكار شارك في معاهدة بيرياسلاف عام 1659م مع الروس وتوفي عام 1698م ووقع ينظر kruputsky,borys,Eneclopedia ukrain,candian instate of Ukrainian studies ,2001,p1

[34] بيهم، جميل، فلسفة التاريخ العثماني، مكتبة صادر ، بيروت ، 1925م،ص289

[35] القوزاق: جند فلاحون جاؤوا من مناطق متعددة وكانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال الذاتي مقابل تادية الخدمة العسكرية ينظر: غربال ، محمد ،الموسوعة العربية الميسرة، ط2،ج2 ، دار الشعب للطباعة والنشر ،القاهرة ، 1965م ، ص1407

[36] قمانيجة: تقع على مسافة 20كلم في الشمال الشرقي من قلعة خوتين على الضفة الشرقية من نهر دنستر ينظر: أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ، ج1، مرجع سابق، ص521

[37] بودوليا:إقليم يقع في غرب أوكرانيا ويحده من الجنوب نهر دنستر ينظر: المحامي، تاريخ الدولة العليا العثمانية ، مصدر سابق،ص299

[38] (لفوف):بالتركية (ابلباف) وبالألمانية(لمبرج) مدينة غرب أوكرانيا عند نهاية الطرف الشمالي لجبال الكربات مهمة لوقوعها على الطريق بين (فيينا) و(كييف) أصبحت قلعة بولونية لصد الغارات الآتية من الشرق دخلت تحت حكم البولونيين ثم الاتحاد السوفيتي ثم استعادتها بولندا عام 1945 ينظر غربال ، شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة ،ج1، مرجع سابق ، ص1651

[39] (وارسو):يطلق عليها(وارساو) بالبولونية تقع على ضفتي نهر فستولا في شرقي وسط بولونيا أصبحت عاصمة لبولونيا عام 1596م تعرضت لغزو السويد عدة مرات وقسمت عام 1790م بين النمسا وروسيا وبروسيا واستقلت بعد الحرب العالمية الأولى ينظر : مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية ،ج27 ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م، ص12

[40] بوجاش:هي ياسي تقع في الشمال الشرقي من رومانيا بالقرب من الحدود الرومانية الروسية ينظر: المحامي، تاريخ الدولة العليا العثمانية ،مصدر سابق، ص262

[41] بودليا: إقليم يقع في غرب أوكرانيا ينظر: المحامي ، فريد بك، تاريخ الدولة العليا العثمانية، مصدر سابق،ص299

[42] شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، مرجع سابق،ص139

وقام العثمانيون بتأسيس (بكلربكية لفوف) في بودوليا بين نهري (دنستر)[43] و(بج)[44]. لكن مجلس الديبت أي مجلس الحكم البولوني اعترض على هذه المعاهدة مستجيبا لتحريضات البابوية والامبراطورية الرومانية المقدسة، فتجددت الحرب بين الطرفين[45].

تقدم الجيش العثماني مرة أخرى في أوكرانيا وبولونيا وفي الوقت نفسه تقدم القائد البولندي سوبيسكي، وتمكن من إحراز عدة انتصارات على العثمانيين واستعادة خوتين ،وأدى انتصاره هذا إلى انتخابه ملكا واستمرت الحرب بين الطرفين واضطر في النهاية جون سوبيسكي لتجديد معاهدة بوجاش تحت اسم معاهدة (زوروانا)عام (1676م)[46].

نستنتج مما سبق أن العثمانيون قد استطاعوا تحقيق مكاسب جيدة من خلال الحرب التي خاضوها ضد الملك البولوني ،على الرغم من القوة التي كان يتمتع بها هذا الملك وكانت كل من معاهدة بوجاش و زوروانا تخدم المصالح العثمانية ،ووقعت وفق أهوائها بالدرجة الأولى، وخرجت بهما بموقع المنتصر الذي يملي شروطه على نقيض بولندا التي أثبتت هذه المعاهدات ضعفها أمام العثمانيين .

ثالثاً–الحرب العثمانية الروسية:

توفي أحمد فاضل كوبرلي عام(1676م) فعين السلطان العثماني في المنصب مرزيفونلي قره مصطفى باشا لتدخل الدولة في مرحلة جديدة، تستنفذ فيها كامل قوتها العسكرية، وتصل إلى آخر نقطة تقدم لها في أوروبا، بدأ قره مصطفى عهده بإكمال جهود سلفه في منطقة أوكرانيا(Ukrain)، وقد جرّت حروب أوكرانيا الدولة العثمانية إلى الصدام مع قيصرية روسيا فقد كان لروسيا نفوذ على جزء من أوكرانيا ومع مطلع عام(1676م)أنفذ العثمانيون حملة لحصار قلعة جهرين(Jhrain)[47].

أبدى الروس مقاومة عنيفة شديدة فاضطر قائد الحملة السردار إبراهيم باشا ومعاونه سليم كيراي خان (Salim kiray khan)[48]القرم إلى رفع الحصار عن القلعة، ولكن السلطان العثماني قام بعزلهما عن القيادة ظنا منه أن تقصيرهما كان سببا في فشل الحصار ،بالإضافة إلى ذلك فقد أساء قره مصطفى معاملة القوزاق ونتيجة لهذه الأخطاء التي استهل بها عهده فقد العثمانيون عنصرا مهما من عناصر قوة الجيش، وهو العنصر القرمي، كما أن القوزاق استاؤوا من الصدر الأعظم وكان ذلك سببا في تمردهم وانضمام قسم منهم إلى الروس [49].

---

[43] نهر دنستر :طوله1378كلم يقع في جنوب غرب روسيا الأوربية ينبع من جبال الكربات ويجري نحو الجنوب الشرقي بوجه عام مؤلفا في بعض أجزائه الحدود بين أوكرانيا و مولدافيا حتى يصب في البحر الأسود في الجنوب الغربي من أوديسا ينظر : غربال، محمد، الموسوعة العربية الميسرة ،ج1 ،مرجع سابق ،ص807

[44] نهر بج: يقع شرقي اوربا ينبع من شرق لفوف يصب في البحر الأسود ينظر: غربال ، محمد ،الموسوعة العربية الميسرة،ج1،مرجع سابق،ص1651

[45] أوزتونا ، يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق، ص521

[46] المحامي ، فريد بك، تاريخ الدولة العليا العثمانية ، مصدر سابق، ص300

[47] قلعة جهرين: تقع على مسافة 40 كلم في الجنوب الغربي من مدينة كريمنك و وجنوب شرق كييف بمسافة 230كلم وهي مركز لقوزاق أوكرانيا ينظر :اوزتونا ،يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ، ج1،مرجع سابق، ص525

[48] سليم كيراي خان(1631–1704م):وهو خان القرم تولى هذا المنصب لأربع مرات بفترات متقطعة كان واليها من عام(1670–1677م) –(1684–1691م)–(1692–1698م)–(1702–1704م) وذلك بعد وفاة محمد كيراي خان وقد أحرز عدة انتصارات على الروس بعد محاولتهم الامتناع عن دفع الجزية واحتلالهم ولايتي قازان وأردهان ينظر:الجوادي،غسان،خانية القرم في العلاقات العثمانية الروسية(1475–1783م)،مجلة البحوث والدراسات، العراق ،ع2، 2016، ص67–73

[49] ياغي ،إسماعيل، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكات، الرياض ، 1995م، ص112

في محاولة لفتح قلعة جهرين من جديد خرج السلطان محمد الرابع للمشاركة في حصارها برفقة الصدر الأعظم قره مصطفى ،وهي الحملة الأولى لسلطان عثماني على روسيا ، وبلغت القوات العثمانية هذه القلعة وضربت عليها الحصار وتمكنت من السيطرة عليها [50]،

وتم التوصل إلى عقد اتفاقية بين الطرفين عرفت باسم اتفاقية (اوزي) والتي تضمنت البنود التالية :

-اعتبار منطقة اوزي الحد الفاصل بين الدولتين، و تعهد الطرفان بعدم إقامة اي استحكامات عسكرية بين الطرفين [51].

2-تعهد العثمانيين بمنع قوات القرم من التوغل في الأراضي الروسية .

3-الاعتراف بحق قيصر روسيا في حماية الكنيسة (الارثوذكسية) في (كييف) [52].[53].

بالنظر إلى الأجواء والظروف التي تم توقيع هذه المعاهدة فيها يمكن التوصل إلى نقطة هامة ودقيقة ،وهي أنها قد وقعت دون تدخل أو وساطة خانية القرم التي كانت عادة تتولى تسوية المشكلات والنزاعات بين الطرفين لكنها هنا كانت على عكس ذلك، بالانتقال إلى نتائج هذه المعاهدة فقد تمكنت روسيا من الحصول على مكاسب هامة تضمنتها بنود الاتفاقية كان أهمها انتقال شريط ضخم من أوكرانيا لروسيا بالإضافة إلى قدرة روسيا على انتزاع الاعتراف من العثمانيين بحماية الكنائس الارثوذكسية هذا المطلب الذي سوف يتطور لاحقا إلى مطالبة روسيا بحماية جميع الكنائس الارثوذكسية في الولايات التابعة للدولة العثمانية وصدامات مع بابا القسطنطينية[54].

رابعاً: الحرب العثمانية النمساوية الثانية (حصار فيينا):

منذ انتهاء حرب الثلاثين عاما سعت الإمبراطورية الرومانيةالمقدسة لإخضاع نبلاء المجر (البروتستانت) لمذهبها (الكاثوليكي)، وكانت الحركة الوطنية في المجر في تصاعد بسبب النزعة المعادية للكاثوليك ،طلب نبلاء المجر المساعدة من الملك الفرنسي لويس الرابع عشر(1638-1715م) ،وبطبيعة الحال امتنعت فرنسا عن تقديم العون لهم لسببين أولهما الخلاف المذهبي بين الطرفين وثانيا لأنها كانت قد وقعت عام (1678م) مع النمسا سلام نمويجن[55].

وجه لويس الرابع عشر هؤلاء النبلاء لطلب المساعدة من الدولة العثمانية، إذ أنه أراد جر العثمانيين للدخول في حرب مع النمسا وفي الوقت نفسه عمل على إثارة العثمانيين للدخول في هذه الحرب خاصة بعد أن أقام العثمانيون استحكامات عسكرية على الحدود العثمانية [56]

---

[50] العوض، محمد، ومضات عثمانية، مركز الكتاب الاكاديمي ، الاردن ، 2018م، ص120

[51] كريسي ،ادوارد، تاريخ الاتراك العثمانيين، مرجع سابق، ص273

[52] كييف: مدينة أرثوذكسية مقدسة تناقلت السيادة عليها ما بين الدولة العثمانية وبولونيا وروسيا وتقع إلى الشمال من البحر الأسود وبحر آزوف ينظر: اوزتونا ، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ، ج2، مرجع سابق،ص660

[53] اوزتونا ، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ، ج1، مرجع سابق ،ص 525

[54] الطالب

[55] سلام نمويجن: هي مجموعة من المعاهدات التي وقعتها فرنسا مع الدول الأوربية كل على حدى وبموجبها أوقفت فرنسا حربها ضد هولندا وتنازلت اسبانيا عن عدة مدن لفرنسا ورغم إن فرنسا خرجت منتصرة من حروبها ضد هولندا إلا انها خسرت الكثير من الأموال فضلا عن الخراب الذي لحق ببعض أقاليمها ينظر: البطريق، عبد الحميد ، التاريخ الأوربي الحديث، من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ص210-211

[56] كولز، بول، العثمانيون في اوربا،تر، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، مصر، 1993م، دار النهضة العربية ، بيروت، 1997م ،ص191

أما في الجانب العثماني، فإن تنامي النفوذ الكاثوليكي النمساوي في المجر ترانسلفانيا لايتناسب مع السياسية العثمانية في المنطقة ولذلك وجد العثمانيون أنفسهم مضطرين لمساندة ثورة النبلاء البروتستانت في المجر بناءاً على طلب(توكلي ايمره)(Takli imrarah) و(ابافي) أمير ترانسلفانيا ،ومع إقتراب موعد انقضاء معاهدة فاشفار كانت الأوضاع الدولية دافعة نحو الصدام بين الطرفين [57].

يفهم مما ورد في المصادر إن خطة السلطان محمد الرابع كانت تقضي الوصول إلى قلعة (كومرون)(komron)[58]وتأجيل التوغل في ارض العدو إلى العام المقبل، وكان الوزير إبراهيم باشا يؤيده في ذلك، ولكن الصدر الأعظم كان يرى توجيه ضربة قوية لكف النمسا عن التدخل في شؤون المجر، ولهذا كان يفضل التوغل في أراضي النمسا ومحاصرة عاصمتها[59].

في الوقت الذي كان فيه العثمانيون يعدون العدة لخروج الحملة كان إمبراطور النمسا (ليوبولد الأول)منشغلا بالحرب مع فرنسا وخوفا من فتح جبهة جديدة على الحدود العثمانية النمساوية عمل على تجديد معاهدة فاسفار لكن دون جدوى لهذا بدا بالبحث عن حلفاء له[60]

لقد كان قرار التحرك نحو النمسا، مبنياً على الموقف الدولي فقد كانت حدود الدولة في الشرق آمنة بعد أن رسمت مع الدولة الصفوية وفق معاهدة قصر شيرين[61]، وكانت الدولة وقعت معاهدة مع بولونيا هي معاهدة زوراونا ومع روسيا معاهدة اوزي وفي الغرب خرجت فرنسا والنمسا منهكتين من حرب ضروس،أما في المجر فقد كان أتباع(توكلي ايمره) راغبين في إقامة دولة بروتستانتية تحت الحماية العثمانية وبالنسبة لانكلترا فان أحد الأحزاب وهو حزب (الهويج)[62] كان مؤيداً للعثمانيين [63]

كان السلطان محمد الرابع رافضاً لفكرة التوغل في الأراضي النمساوية ، ولعل ذلك يعود إلى اختلاف نظرته وتقييمه للموقف الدولي عن مصطفى باشا وخاصة أن الدول الأوروبية كانت لا تراعي العهود والمواثيق ،إذا كانت الدول الأوربية قد وقعت معاهدات صلح مع الدولة العثمانية فان احتمال نقضها لهذه المعاهدات مازال قائما كان هناك دول

---

[57] مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق، ص374

[58] كومرون: تقع في جنوب اويفار على مسافة 12 ساعة من استرا كون ينظر أوزنونا ، يلماز، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري ،م4،الدار العربية للموسوعات ، بيروت، 2010م، ص698

[59] اوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ، ج1،مرجع سابق ، ص528

[60] أوغلي ، إكمال الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،مكتبة الشروق الدولية ،مصر ، 2011م ، ص59

[61] معاهدة قصر شيرين:او معاهدة زهاب وهي معاهدة عقدت بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية في عام (1639م)في قصر شيرين شرق كركوك وقد أنهت هذه المعاهدة الحرب التي استمرت بين الجانبين خمسة عشر عاما في عهد السلطان مراد الرابع العثماني وعينت هذه المعاهدة الحدود بين الطرفين على أن تكون البصرة والموصل وكردستان الغربية للدولة العثمانية في حين تكون أذربيجان الشرقية وروانـدوز وأرمينيا الشرقية وكرجستان للدولة الصفوية ينظر:صباغ،عباس،تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية،ط1، دار النفائس ، بيروت، 1999م،ص195

[62] حزب الهويج: هو الحزب المكون من الطبقة البرجوازية الوسطى في إنجلترا المؤيد لسلطة البرلمان العامل لإضعاف سلطة الملك وهم ليسوا من الديمقراطيين او الأمراء المتطرفين وهو لفظ اسكتلندي الأصل ينظر: لانجر، وليم، موسوعة تاريخ العالم ، ج4، مؤسسة فرا نكلن للطباعة والنشر، القاهرة، 1963م ،ص1144

[63] أوزنونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ،ج1، مرجع سابق ، ص528

شديدة العداء للدولة العثمانية ،وإذا كان حزب الهويج مؤيدا للعثمانيين فان هناك حزباً آخرهو (التوري) [64]كان مؤيداً للنمسا [65].

كانت كل من (إيطاليا(Italy) ، اسبانيا(Espaniol) البرتغال(Portogal)،الدانمارك(Danemark) تقف إلى جانب النمسا أما روسيا فقد كانت مترددة في الانضمام إلى هذا التكتل خوفا من اغتنام (القرم) و(بولونيا) و(السويد) الفرصة لمهاجمة الأراضي الروسية ،كما كانت البندقية ترغب في الانضمام إلى هذا التكتل لتعويض خسارتها في (كريت)[66].

عام (1683م) طلق السلطان محمد الرابع العنان لجيشه المتعدد العناصر، وأسند قيادته إلى وزيره الأعظم فانساب عبر كل الولايات على طول نهر الطونه، وتراجعت القوات النمساوية حتى ارتدت إلى فيينا في الوقت الذي كانت فيه المدن والقلاع تتساقط بأيدي العثمانيين ،نتيجة لهذا التقدم الإسلامي هرب الإمبراطور ليوبولد الأول من عاصمته إلى (لينز)(Lenz)، أما الجيش العثماني فقد واصل تقدمه حتى دخل (سلوفاكيا)(Soulofakia) [67] حتى حدود (مورافيا)(Mourafia) و(غاليجا)(Kalega) شرق العاصمة النمساوية حتى وصل إلى(فيينا)(veina)[68]وضرب حصاراً محكماً على هذه العاصمة [69].

ومن جهة أخرى فقد نجح البابا في إقناع الملك البولوني جون سوبيسكي الثالث[70] بالتوجه نحو عاصمة النمسا ،وانضم إليه كل من أمير سكسونيا وبافاريا [71].

كانت المدينة على وشك الاستسلام ،نتيجة شدة الحصار وقد عرض من بداخلها الاستسلام، ولكن الوزير (قره مصطفى باشا) رفض ذلك خوفاً من وقوع النهب من قبل الجيش، مما يدل على ثقته من سقوط المدينة، وألح الوزراء الذين كانوا برفقة مصطفى دخول المدينة صلحاً ،ولكنه طلب مقابل ذلك أن يضمنوا له سلامة المدينة من النهب ،وظل الجيش العثماني على هذه الحال عدة أيام ،وكان هذا الوقت كافياً لوصول الدعم العسكري بقيادة جون سوبيسكي إلى فيينا[72].

---

[64] حزب التوري :هو الحزب المشجع لامتيازات الملكية بمعنى أنهم كانوا ورثة برلمان الفرسان وقد تطور هذا الحزب فيما بعد فسمي بحزب المحافظين وللفظ توري ايرلندي الأصل ينظر لانجر، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ،ج4، مرجع سابق، ص1144

[65] أوزنونا، يلماز، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري ،م2،مرجع سابق ، ص528

[66] أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ، ج1، مرجع سابق، ص528

[67] سلوفاكيا:تقع دولة سلوفاكيا في قارة اوربا تحدها بولندا شمالا وأوكرانيا شرقا والمجر جنوبا والنمسا والتشيك غربا ينظر ،مصطفى ، احمد ، الموسوعة الجغرافية _(الدول –الولايات –المقاطعات)، ج1، دار العلوم للنشر والتوزيع،السعودية ، 2004م، ص42

[68] بافيرا: إقليم يقع في الجنوب من ألمانيا وعاصمته ميونخ ينظر: المحامي ، فريد بك، تاريخ الدولة العليا العثمانية ، مصدر سابق، ص301

[69] أوزتونا ،يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ،ج1،ص528–530

[70] جون سوبيسكي الثالث (1629–1696م): ملك بولندا ودوق ليتوانيا ولد من طبقة النبلاء البولندية في اوليسكو بإقليم أوكرانيا الحالية والداه هما جاكوب سوبيسكي وتيوفيلا سوبيسكا دانلوفتش وانطلق في رحلة تعليمية مع اخوه ماريك في اوربا وهولندا وفرنسا وانجلترا ثم عادا بسب انتفاضة بوهدان شميلنيكي للالتحاق بالجيش وفي عام 1668اصبح هيتمان التاج البولندي وحاملا لأعلى رتبة عسكرية وحار العثمانيين في خوتين عام1673م تحالف مع الملك ليوبولد الأول ضد العثمانيين خلل حصار فيينا وحقق انتصار له صداه على العثمانيين في ذلك الوقت وتلقى اللقب الفخر(المدافع عن الإيمان من البابا اينوسنت الحادي عشر توفي جون سوبيسكي عام 1696م وعمره66 عام ينظر :

jaskanis,pawel, john III sobieski aplish king in Vienna ,belvedere &winterpalais public,Vienna,2017,p6

[71] المحامي ، فريد بك، تاريخ الدولة العليا العثمانية ، مصدر سابق، ص301

[72] أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ج1،ص531

اعتمدت خطة الدفاع التي وضعها الصدر الأعظم على المهام المسندة للقوات القرمية ، فقد كان على القوات القرمية التصدي للقوات البولونية ومنعها من عبور الجسر المنصوب على نهر الطونة ،وفي حال عبورهم الجسر فكان على القائد القرمي مراد كيراي(murad kerai)[73] التصدي لهم لكنه لم يقم بأي من الواجبات التي أسندت إليه [74].

تراجع المسلمون عن المرتفعات التي تحصنوا بها، واستمر القتال بين القوى الأوربية بقيادة سوبيسكي طيلة النهار ، فانهزم قره مصطفى وأخلى المواقع متقهقرا تجاه بودابست وتعقبهم القائد البولوني بالقتل حتى اجري الدماء انهاراً[75].

كان حصار العاصمة النمساوية وما سببه من مخاوف سببا قد جعل الأوربيين ينتبهون إلى أوضاعهم المتردية ، فأخذ حكامها يلتقون رغم تباين توجهاتهم والصراع بينهم مشكلين حلفا ضد العثمانيين[76].

خاضت الدولة العثمانية أولى المعارك ضد الإمبراطورية الرومانية وبولونيا ومع انشغال الجيش العثماني في هذه الجبهة استغل البنادقة هذا الوضع وسيطروا على عدة مناطق كدلماشيا(Dalmashia)[77]والهرسك(Hirsek).[78]

باستمرار المعارك زادت حاجة العثمانيين إلى الدعم العسكري، لكن تردي الأحوال الإدارية في العاصمة حال دون وصولها بالشكل الكافي وفشلت محاولات العثمانيين بشن هجوم لاستعادة مافقدوه[79].

لما أحست دول الائتلاف بالوضع الذي أصبح عليه العثمانيون جمعت مالديها من عتاد للهجوم على قلعة بودين ، وكانت النمسا حريصة على انتزاعها من العثمانيين ،لكونها مركز استراتجي للمجر، وسقطت المدينة رغم محاولات العثمانيين الدفاع عنها بعد حصار دام 74يوماً وذلك عام (1686م)[80].

تزامنت هذه الهزائم مع سخط الجند في إسطنبول وقيامهم بخلع السلطان محمد الرابع(1687م)، وهذه التغيرات في الحكم ترافقت مع تهاوي المدن المجرية بيد النمسا وصولا إلى بلغاريا [81].

ما يمكن ملاحظته من خلال مما ورد أن أفعال قره مصطفى باشا أثبتت أنه على النقيض من عهد أسرة كوبرلي ، حقق القليل من النجاحات في منصب الصدر الأعظم واقل بكثير مما تحقق في عهد السلطان محمد الرابع ،فقد ازدادت الاضطرابات الداخلية في السلطنة العثمانية في عهده كما أن سياسته الخارجية أثبتت إخفاقها وجرت على السلطنة كثيرا من المشكلات والويلات، ويشهد على ذلك حصار فيينا الذي لو عدنا بالتاريخ قليلا للوراء سنرى انه شكل في الحقيقة ذروة الخطر على أوربا عام (1529م)،حيث كانت الدولة في أوج قوتها لكن أوضاع تلك الفترة تختلف عن أوضاع عام (1683م)،فقد كانت اضعف بكثير لكن أحلام قره مصطفى كانت قد دفعته لخوض هذه المغامرة غير الموفقة [82].

---

[73] مراد كيراي خان(1627–1695م):خان القرم في الفترة الممتدة بين عامي (1677–1683م) في عهد السلطان محمد الرابع شارك في حصار فينا ولكنه نفي لاحقا بسبب اتهامه بالخيانة وتوفي عام 1695م ينظر :الجوادي، غسان، خانية القرم في العلاقات العثمانية الروسية (1475–1783م)، مرجع سابق، ص67

[74] مرجع نفسه، ص531

[75] حسون ، علي ، العثمانيون والبلقان،المكتب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص162

[76] شامة، محمد ، الإسلام في الفكر الأوروبي ، مكتبة وهبة ، مصر، 1980م ، ص105

[77] دلماشيا: هي الجزء الغربي من يوغسلافيا الواقع على الشاطئ الادرياتيكي ، ينظر المحامي ، فريد بك ، تاريخ الدولة العليا العثمانية ، مصدر سابق ، ص174

[78] مانتران ، روبير ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق، ص374

[79] كولز ، بول، العثمانيون في اوربا ،مرجع سابق ، ص192

[80] العسلي ،بسام ، الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ، دار النفائس ، بيروت، 1990م، ص273

[81] العسلي، بسام، فن الحرب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص193

[82] الطالب

الاستنتاجات والتوصيات :

1- نستنتج من خلال البحث أن السلطان محمد الرابع استطاع أن ينهض بالدولة بمعونة آل كوبرلي بعد مرحلة من التدهور والانحطاط وتحقيق ماكان صعبا في مثل تلك الأوضاع القائمة .

2- شكلت الانتصارات العثمانية وسيطرتها على العديد من المناطق الإستراتيجية إنذاراً لكل من بولندا وروسيا والنمسا مما دفعهم للعمل بكل طاقتهم للحد من الزحف العثماني عسكريا أو بعقد معاهدات سلام.

3-اعتبرت الحرب التي قادها السلطان محمد الرابع ضد روسيا أول حملة لسلطان عثماني ضد الروس .

4-دفع الصدر الأعظم قره مصطفى باشا حياته بأمر من السلطان محمد الرابع ثمنا لإخفاقه في السيطرة على فيينا وعانت السلطنة من نتائج قاسية بعد هذه الهزيمة ووضعت حداً للتوسع العثماني وجعلتها في موقع الدفاع بشكل دائم .

5- يتبين لنا مما سبق من معلومات أن النجاح الباهر في صد الهجوم وفك الحصار عن فيينا من قبل الهابسبورجيين قد أعطاهم الثقة بأن بإمكانهم إبعاد الخطر العثماني عن كامل الإمبراطورية وعن أوروبا أيضاً وكان هذا الانتصار بالنسبة لهم فاتحة لعهد جديد من الانتصارات .

sources :

1-Lawyer, Farid Beyk, History of the Ottoman Supreme State, Dar al-Nafis, Beirut, 1981

Arabic references :

1- Arslan, Shakib, History of the Ottoman Empire, Ibn Kabir Printing and Publishing House, Damascus, 2011

2- Al-Ruqi, Ayed, Muhammad Ali's Wars in Damascus and Its Impact on the Arabian Peninsula, Um al-Qura University, Saudi Arabia, 1986 AD

3- Al-Asali, Bassam, Crucial Days in The Crusader Horb, Dar al-Nafis, Beirut, 1990 AD

4- Nabulsi N Shaker, Era of Takia and Nationals (Description of the Cultural Scene of the Levant in the Ottoman Era), Arab Foundation for Studies and Publishing, Lebanon, 1999

5- Al-Awad, Mohammed, Ottoman Flashes, Academic Book Center, Jordan, 2018 AD

6- Behm, Jamil, Philosophy of Ottoman History, Sader Library, Beirut, 1925 AD

7- Benguin and the lights of modern, European history, from the Renaissance to the Vienna ,Conference, p. 210-211

8- Barjawi, Said, Ottoman Empire, Political and Military History, Civil Publishing and Distribution, Beirut, 1993AD

9-Hassoun, Ali, Ottomans and Balkans, Islamic Office, Beirut, 1980 AD

10- Kachia, Tarek, Tour of the History of Turk and Turkmen through Ages and Times, First Part, Dar Adana, Turkey, 2015 AD

11-Sabbagh, Abbas, Ottoman-Iranian Relations, Dar al-Nafis, Beirut, 1999AD

12-Zaki, Ahmed, History Lesson, Hindawi Foundation for Education and Cultur, Egypt, 2013AD

Arabic references translated from European languages:

1- Chrissy Edward, History of Ottoman Turks, Tr: Ahmed Salem Al Salem, HBKU Publishing House, Doha, 2019 AD

3- Mantran, Robert, History of the Ottoman Empire, J1n Think Tank For Printing and Publishing, Cairo, 1993 AD

Turkish references translated into Arabic :

1- Ogle, Insane, Omani State of History and Civilization, part 1, Dar Al Shook International ,Egypt,2011 AD

2- Oztona, Yilmaz, History of the Ottoman Empire, Part 2, Faisal Finance Publications, Turkey, 1990 AD

Encyclopedias :

1- Bellhop, Nasser, Grand Encyclopedia of Armed Islamic Groups, Waves for Printing and Publishing, Jordan, 2014AD

2- Group of authors, Arab World Encyclopedia, Part 27, Encyclopedia Publishing and Distribution Business Foundation, Riyadh, 1999 AD

3 Langer, William, Encyclopedia of World History, C4, Franklin Printing and Publishing Foundation, Cairo, 1963AD

4- Nasser, Mohammed, Easy Arabic Encyclopedia, C1, Modern Library, Beirut, 2013 AD

5- OzTona, ylmaz, Encyclopedia of The History of the Ottoman Empire Political, Military and Civilization, Arab House of Encyclopedias, Lebanon, 2010AD

6- Sieve, Mohammed, Easy Arabic Encyclopedia Part1, People's House for Printing and Publishing, Cairo, 1965 AD

7- Sieve, Mohammed, Easy Arabic Encyclopedia Part 2, People's House for Printing and Publishing, Cairo, 1965 AD

Foreign references :

1- BIPERNO,ROBERTO,ROME IN THE FOOTSTEPS OF AN XVIIITH CENTURY TRAVELLER,ROMA,2020AD

2-jaskanis,pawel, john III sobieski aplish king in Vienna ,belvedere &winterpalais public,Vienna,2017AD

3- kruputsky,borys,Eneclopedia ukrain,candian instate of Ukrainian studies ,2001AD

Articles and periodicals

1-Al-Jawadi, Ghassan, Crimean Khaniyah in Ottoman-Russian Relations (1475-1783), Journal of Research and Studies, Iraq No. 2, 2016AD